مكتبتنا العربية

الأستاذ

مجلة

تُصْدِرُهَا كُلِّيَّة التَّرْبِيَة بِجَامِعَة بَغْدَاد

المجلد الثامن

بعددين

١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

مطبعة المعارف ـ بغداد

وسائل النهوض باللغة العربية*

- ٢ -

للدكتور مصطفى جواد
الاستاذ فى قسم اللغة العربية

ومشكلة اخرى من المشكلات الصرفية أصاب أذاها لغة العصر وهى النسبة الى « فَعِيْلة » غير مضعّفة ولا معتلّة العين بالواو كالطبيعة والبديهة والغريزة ، فقد ظن فريق من النحويين والصرفيين أن الياء تحذف منها فى النسبة حذفا عاما ، لا خاصا بكلمات معينة ، وذلك الظن صار قاعدة صرفية لسوء الاستقراء ، والصواب أنه خاص بالاسماء المشهورة أى الاعلام ولا سيما القبائل والبلدان ، كما يدل عليه تمثيل ابن قتيبة ، فى أدب الكاتب ، قال : « اذا نَسَبت الى اسم مُصغّر كانت فيه التاء أو لم تكن وكان مشهورا ألقيت الياء منه ، تقول فى جُهينة ومُزينة : جُهنى ومُزنى ، وفى قُريش : قُرشى وفى هُذيل : هُذلى وفى سُليم سُلَمى ، هذا هو القياس الا ما أشذّوا ، وكذلك اذا نَسبْتَ الى فَعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورا القيت منه الياء مثل ربيعة وبجيلة تقول : رَبَعى وبَجَلى ، وحنيفة : حنفى ، وثقيف : ثقفى وعتيك عتكى . وان لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء فى الاول ولا الثانى »[1] . فابن قتيبة لم يشترط العلمية وحدها بل أضاف اليها الشُهرة وأيد قوله بالشواهد القوية من لغة العرب ، فالقاعدة ، كما

(★) نشر القسم الاول من هذا الحديث فى المجلد السابع من مجلة الاستاذ الصادر فى شهر ربيع ١٩٥٩ .

(١) أدب الكاتب « ص ٢٠٩ - ٢١٠ » طبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ .

قلت آنفا ، خاصة لا عامة ، وقد اشتهر « الشاعر البديهى » المشهور بهذه النسبة . وكيف يظن أن العرب تسىء الى لغتها وتهدم جانبا منها بحذف ياء «فعيلة أو فُعَيلة» للجنس بحصول الشرط مع أنها تبلغ مئات ، فتختلط اللغة وتلتبس ، وتصبح تخاليط وأغاليط ومجموعة من التصاحيف . وآخر ما اقترحه من اصلاح الصرف طرح « باب المطاوعة » وأن يُحل محله « باب الفعل الذاتى » فقد ثبت عندى أن المطاوعة خرافة صرفية لا يلتفت الى القائل بها .

أجتزىء بهذا القول فى مشكلة الصرف ، وأنصرف الى مشكلة النحو فهى مشكلة عويصة جدا ، وهى مبعث الشكوى ، وسبب البلوى ، فالجمود وعدم التطور وانقطاع الابداع ، والغموض والاسهام من صفات النحو العربى الا ما شذ أو ما ندر . واذا درس الانسان تاريخ قسم من اللغات الحية الواسعة كالفرنسية وجد أن نحوها كان متغيرا متطورا بعيدا عن الجمود ، وكان مظنّةً للابداع وطلب الكمال ، ونعنى بالجمود اتباع القوم قدماء النحويين فى سرد القواعد وايرادها من غير عرضها على القرآن الكريم وكلام العرب وشعرهم الخالى من الضرورة ، والتزامهم أقوالهم واعتناقها اعتناق العقائد ، مما يحرم فيه الاجتهاد ، ونعنى بانقطاع الابداع عدم نسخ قاعدة أو الاستبدال بها أو عدم ادماجها فى قاعدة اخرى ، ونعنى خلو النحو من قواعد عامة تغنى عن الاستعمال المقيد بالمراجعة .

والمذهب العام المؤدى الى اصلاح النحو فى رأيى هو تقليل القواعد وانتقاء الشواهد من القرآن الكريم أولا ثم من الحديث النبوى المروى لفظا ثانيا ثم من نثر العرب الوارد فى الامثال والايام والمقامات ثم من الشعر العربى الجاهلى الصحيح صحة نسبية ، الخالى من الضرائر كائنا ما كان نوعها ، ومقياس الضرائر الاظهر هو مباينتها للنثر العربى على اختلاف ألوانه ، ثم انتقاء الشواهد من شعر ما بعد الجاهلية .

ان القرآن الكريم هو أعلى نثر عربى وأفصحه وأنصعه ، واستخراج

مكتبتنا العربية

الشواهد النحوية منه بادىء الرأى أقوى برهان على صحة القواعد وقدمها ووثاقتها ، ولطالما رأينا تجافيا من جماعة من النحويين عن أخذ الشواهد منه ، بله جماعة من المبشرين المتعصبين البُله الذين يرتكبون أشنع الافك وأفظع الجهل بدعواهم أن فى القرآن غلطا نحويا يستدلون على اثباته بالشعر الجاهلى الظنين .

ومن الذين يدّعُون العلم بالعربية ونحوها من لا يعوجون على القرآن يتأملون شواهده وينتقون فرائده ، ويظنون أن دعواهم حقة ، قال الكاتب أسعد داغر فى كتيبه « تذكرة الكاتب » ـ ص ١٤٢ ـ فى تخطئة الكتاب واصلاح خطئهم على زعمه :

« وكثيرا ما يستعملون الحَرفَ « لو » مكان « انْ » فيقولون : وَلْيَعْلَمُوا أنى لا أرهبُ جانبهم ولو كنت وحدى . وسيبقى بخيلا ولو صار غنيا . والصواب: وان كنت ... وان صار ... » .

وهذا القول يدل على أن الرجل لم يقرأ القرآن قراءة نحوية ولا قرأ شعر الاخطل النصرانى ، القائل فى مدح بنى أميّة :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ... عن النساء ولو باتت بأطهار

فقد وضع « لو » مكان « ان » مختارا غير مضطر لانه كان فى قدرته أن يقول « وان باتت بأطهار » . وقد استشهد أبو العباس المبرد على صحة قول الاخطل المنظوم نثر القرآن الكريم ، قال : « قوله : ولو باتت بأطهار . فلو أصلُها فى الكلام أن تدل على عدم وقوع الشىء لعدم وقوع غيره ، تقول : لوجئتنى لاعطيتك . ولو كان زيد هناك لضربته ، ثم تتسع فتصير فى معنى « ان » الواقعة للجزاء تقول : أنت لا تكرمنى ولو أكرمتك . تريد : وان أكرمتك . قال الله ـ عز وجل ـ : وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . فأما قوله ـ عز وجل ـ : فلن يُقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به ... فلو فى معنى ان ... »[1] . فتأمل ذلك

---

(١) الكامل فى الادب « ج١ ص١٩٣ ـ ٥ » طبعة الدلجمونى الازهرى .

ومن أبواب النحو التى نستطيع ايصادها باب « أسماء الافعال المرتجلة الدالة على جمود ، وأسماء الافعال المنقولة فالمرتجلة ما هى الا أفعال جامدة قديمة ومنها ما هو فى طور الانتقال من الجمود الى التصرّف الساذج مثل « هَلُمَّ يا رجل » أى تعالَ ، يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر فى لغة أهل الحجاز وبها جاءت لغة القرآن الكريم فى هذا الحرف « والقائلين لاخوانهم هلُمَّ الينا » وأهلُ نجد كانوا يصرّفونه ويقولون : هلُمَّ وهلُمّي وهلُمّا وهلُمّوا وهَلُمُّمن ، وأما المنقولة فدعوى نقلها واضحة البطلان ، ولا يصدق الفكر الثاقب بنقلها لاستحالته ، فليس فى النحو « مختبر كيميائى » نحوى ، يحيل العبارة الى غير أعيان كلماتها ، وليس فيه مذهب تناسخ ، فقولهم « عَليكَ حقَّك » أى الزمه و « اليك عنى » أى ابتعد عنى و « دونك الكتاب » أى خذه ، انما هو مختصر جُمل ذات أفعال محذوفة لكثرة الاستعمال ، وهذه الجمل المنطوق بها انما هى بقاياها ، والمحذوفات فى اللغة العربية كثيرة جدا والحذف مع تمام الدلالة من عناصر البلاغة ، انك ان تحلل قول القائل « من لى بفلان وكيف لى بذاك » تجده عجبا من القول ، ولو أن الافهام العربية تدرك المفقود بالموجود لكان ذلك لغزا من ألغاز التركيب ، فالاصل فى العبارة الاولى « من مظفر لى بفلان » أو ما جرى مجراه وفى العبارة الثانية « كيف الظفر لى بفلان » وما نحا منحاه ، وعلى هذا يكون أصل « عليك حقك » : « أمسك عليك حقك » كقوله تعالى فى سورة الاحزاب « واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسِك عليك زوجكَ واتق الله ... » فحذفت العرب الفعل فى مثل هذه الآية تخفيفا فقالت « عليك نفسك » أى احفظها والاصل فى اليك عنى هو « ابتعد اليك عنى » أى ابتعد من الجهة التى أنت فيها ، ودونك الكتاب ، واضح تقدير أصله فهو « خذ الكتاب دونك » أى خذه وهو دونك وفى ذلك اشارة الى قرب موضعه من المأمور .

ومن المعلوم أن العرب حذفت الافعال فى الاغراء والتحذير والخصوص

مكتبتنا العربية

المعروف بالاختصاص ، وفي قولهم « الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر » وقول النعمان بن المنذر للربيع بن زياد العبسى :

قد قيل ذلك ان حقـا وان كذبا فما اعتذارك من شيء اذا قيلا ؟!

وحذف الفعلُ في « قل حقا والا فاسكت » وهو كقول الاحوص بن محمد الانصارى :

فطَلَّقْهـا فلست لهـا بكُفءٍ والا يعـلُ مفرقـك الحسـام

ومن الحذف قولُهم « خيرَ مقدم » أى قدمت خير مقدم ، وهنيئـا لك أى ثبت هنيئا لك .

وهكذا يُسدُّ باب من أبواب النحو بفضل القرآن الكريم وهو باب أسماء الافعال .

ومما غفل عنه النحويون أن التعدى فى الفعل هو الاصـل لان الحيـاة على اختلاف أنواعها وتباين طرائقها تعتمد على التقدير فاللزوم فى الفعل أمر طارىء اذن ، وعلى هذا القياس تكون الافعال التى أصلها اللزوم كفرح يفرح وسـهُل يسهُل حديثة الوجود بالنسبة الى غيرها من ضروب الفعل الثلاثى المجرد ، وكذلك « فَعَل يفعِل » المضعف مثل «خف يخف وجل يجلُ وشف يشف وطف يطف» وعشرات غيرهن .

ذكرت هذه الامثلة للبيان عن امكان الاختصار والابداع والاسـتبدال فى النحو أعنى استبدال قاعدة سليمة باخرى عليلة .

ومشكلة المعجمات تظهر فى جمودها أيضا وسوء ترتيبها والتقصير فى شرحها، فالجمود يمكن أن يزال بمطالعـة كتب الادب والتاريخ ودواوين الشـعر والنثر والسياحات وكتب البلدان والرحل والمعجمات بأعيانها لتسجيل ما ورد فيها مما ليس فى المعجمات أو ليس فى باب منها كما فعل « رينهارد دوزى » أحد المستشرقين الهولانديين فى كتابه « تكملة المعجمات العربية » و « لين » المستشرق الانكليزى

مكتبتنا العربية

فى معجمه العربي الانكليزى وقد جمعت معجما للمولد من الكلم وللتعابير المولدة بشواهدها المفصلة وهو لا يزال فى تسويده ولم ألق ما يشجعنى على اخراجه لاننا نقول ولا نعمل ولان من سوانا من الامم المتمدنة يفعلون ثم يذكرون أفعالهم .

أما سوء الترتيب فمعلوم عند الذين يراجعون المعجمات العربية ولا حاجة الى الكلام فيه ، فالاسم تجده أحيانا قبل الفعل والسداسى قبل الثلاثى والخماسى قبل الرباعى . والتكرار شائع وخصوصا فى لسان العرب لانه مجموعة معجمات يحرص مؤلفه على أن يورد اصولها بهيأتها الاصلية .

وأماشرحها فمضطرب أو مقصر فيه أو مختصر ويغلب عليها ايراد المفردات مجردة ويقل فيها ايراد الجمل ، واذا أوردت جملا أوردتها على النحو القديم غالبا ، والتحقيق أن للكلمة العربية قيمتين دائما : قيمة معجمية وهى قيمة جامدة لا حياة فيها ، ربما تؤدى الى سوء فهمها ، وقيمة استعمالية وهى القيمة القابلة للتطور لانها تؤخذ لها من صميم كلام العرب أو كتبهم على تعاقب الازمان ، واختلاف البُلدان . ألا ترى مثلا أننا نستعمل اليوم « تنازل عن العرش » و « تنازل عن حقه » . والذي فى المعجمات : « تنازل القوم : نزلوا عن ابلهم الى خيلهم فتضاربوا أو نزلوا الى ساحة القتال فاضطربوا أو تنازلوا فى السفر أى أكلوا عند هذا نزلة أى مرة وعند ذاك اخرى . فتنازل فى كل هذه العبارات يدل على الاشتراك بين اثنين فأكثر منهما ، ولم يرد للواحد . ولكننا نجد فى شرح قصيدة ابن عبدون تأليف عبدالملك بن بدرون قوله :

« ثم ملكته بعد أردشير جمانة أو خمانى ابنته ... ولم يلبث ملكها الا ثلاث سنين فانه لما بلغ أخوها أشده وهو دار الاول تنازلت عن الملك وسلمته اليه فلما استلم زمام السلطنة بشجاعة »(١) .

---

(١) شرح قصيدة ابن عبدون « ص ٢٠ » طبعة مطبعة السعادة .

مكتبتنا العربية

فقد استعمل « تنازل » بمعنى « تخلى » و « ترك » و « خلع نفسه » وقد كنت أظن قوله « تنازل عن الملك » غلطا ، ثم بان لى أنه مولّد مستعمل فى لغة ادباء من الاندلس لا يستهان بهم ، فانظر رعاك الله الى قوله « استلم زمام السلطنة » بدلا من قوله « تسلّمه » ثم اقرأ ما كتبه فى هذه العبارة أسعد خليل داغر فى تذكرة الكاتب قال :

« ويقولون : استلم فلان الشيء أو أمضى وصول الاستلام • وهو شائع مستفيض بين كثير من الكتاب فيستعملون هذا الفعل ومشتقاته بمعنى الاخذ والتناول على خلاف المعنى الموضوع له وهو اللمس بالتقبيل أو باليد أو المسح بالكف ومنه تمن الحجاج فى مكة المكرمة باستلام الحجر الاسود الذى قيل له ذلك لانه اسودّ من لمسهم له عند استلامه • أما الفعل الذى يفيد معنى الاخذ والتناول فهو تسلّم ، يقال : سلّمه وسلّم اليه الشيء فتسلّم وأمضى وصول التسلُّم »(١) •

فلا شك عندى فى أن الذى استعمل « استلم » بمعنى « تسلم » كان قد وجده كذلك فى شرح قصيدة ابن عبدون ، فهو مستعمل عند ادباء الاندلس منذ المئة السادسة من الهجرة فى أقل اعتبار ، أفيجوز أن نخطىء قائله وهو محمول على المجاز المفتوح الباب فى لغة العرب ، ولولاهو لكانت اللغة مع اتساعها أضيق من الميدان على الجبان • فاللامسة مثلا معروفة ولكنها نُقلت الى المباضعة والمضاجعة والتسلم والاسلام يجمع بينهما اللّمس ، فيُستعار الاستلام للتسلُّم وقد استُعير واستعمل قبل مئات سنين •

وأمثلة ما ليس فى مادته منا ما جاء فى المصباح المنير من ذكر « الكجاوة » فى تفسير العمارية وذكر « البركصطوان » فى « التجاف » وقد أحصيت على الفيومى فى مصباحه المنير الى اليوم ستا وعشرين وثلاثمائة كلمة لم يذكرها فى موادها واستعملها فى غيرها • أحصيتها لاثبات أن اللغويين يستعملون فى الاحيان

---

(١) تذكرة الكاتب » ص ٣٠ « •

مكتبتنا العربية
من الكلم ما لا يثبتونه فى معجماتهم العامة، وأقل ما يجب على المعجم أن يفسر نصوصه •

ومشكلة التعبير متصلة بمشكلة المعجمات ولان الكتابة العربية صناعة لا سليقة وقد طورتها الصحافة العربية من جرائد ومجلات فى النهضة العربية الاخيرة ، تطويرا بالغا بحيث اذا قرأ الانسان اليوم مجلة عربية يجد فيها طائفة من الكلمات المولّدة والكلمات المعرّبة حديثا ، والعبارات الغريبة المترجمة حتى ليصعب على العربى غير المعاصر لنا فهم أشياء فيها ، ومما يبعث السرور والابتهاج الاجتهاد فى نشر اللغة الصحيحة وازالة الامية والتربية والتعليم النسويان ، فالعامة اليوم فى الاقطار العربية والاقطار التى استروحت رائحة العروبة يميلون كل الميل الى تقليد الكتاب والخطباء والاقتباس منها فى محاوراتهم حتى ارتقت لغتهم • والتعليم النسوى فى بلاد العرب اليوم لم يبلغ ما هو عليه اليوم فى عصر من عصور الاسلام السالفة مع أنه فى أول نهضته المباركة •

ومن البيّن للمتأمل أن أكثر الالفاظ السياسية وكثيرا من المصطلحات المالية والمصطلحات العسكرية والعلمية والفنية قد استعارها العرب فى العصر الحاضر لاحتياجهم اليها فى مباشرة شؤون الحياة وقد ترجموا منها وعرّبوا ما عرّبوا ، وقد أشرت الى مساعى المجمع اللغوى المصرى فى ذلك خاصة ، لانها لم يكن لها مثيل ولانها على العمل الحر أدل دليل ، ولم يكن بد من هذا التصاهر اللغوى لانبات السلسلة العلمية عندهم وانقطاع المجرى الفنى فيهم •

وقد كثر المترجمون فى أول هذه النهضة ، وقصر أكثرهم فى النقل لضعفهم فى لغتهم العربية وقد ذكرنا أنها صناعة والمترجم اذا ضعفت عنده احدى اللغتين كثرت اساءته للترجمة وزادت الاساءة الى اللغة الضعيفة عنده ، فنحن لا نزال نقاسى اذى تينكم الاساءتين بما خلّفتاه من أخطاء ، أقول هذا مع اعترافنا بفضلهم وسبقهم الى استفادة أنفسهم وافادة العرب •

وتعابير لغتنا العصرية الخالية من صبغة الترجمة والاقتباس لا تزال ضعيفة

مكتبتنا العربية

بالنسبة الى اسلوب فصحاء العرب لانقطاع الصلة بين هذا الاسلوب وذلك الا فى النادر ولغلبة الاسلوب الاعجمى المترجم المعبر عن المراد فى هذا العصر ، وهذا الاسلوب يكون بنجوة من التتبع والمؤاخذة فى الامور العلمية والمباحث الفنية الا انه فى الكتابة الادبية معيب منتقد على صحبه • وقد استفد جماعة من الفضلاء مجهودهم فى اصلاح تأليف الكلام وتقويم اللسان فى المفردات وفى الجمل فمنهم من مضى ومنهم من هو غابر غير عابر ، والفت فى ذلك كتب صغار ونشرت مقالات غير أنه قد دخل فى طائفة المصلحين من لم يسمُ الى مقام الامامة فى الاصلاح ، وتزبّبَ وهو لا يزال حصرما ، حتى أنكر ما ورد فى القرآن الكريم وهو لا يدرى بما فيه ، وبما ورد فى الحديث المنسوب الى النبى ـ ص ـ قبل اكثر من الف سنة ، كالسكة الحديد ، قال المرحوم الشيخ احمد الاسكندرى فى وصف المتزببين :

« حتى أصبح النقد اللغوى وحده يدين النقاد كافة وحتى تدخل فى أهله كل قليل البصر بالنحو والصرف والبيان ، اذا رأى أنّ نحو خمسين أو ستين كلمة يزعم أنّ الناس يحرفونها عن مواضعها كافية[1] للتشهير بكبار المؤلفين والكتاب والشعراء فوقع الناس من هذا وأضرابه فى بلاء عريض وعنت مقيت • ولكن الله أرحم من أن يترك حماة اللغة هدفا لعباد المعجمات فألهم اعضاء مجمع اللغة العربية فى أثناء بحثهم عن وسائل سلامة اللغة والتوسع فى أقيستها لجعلها أداة صالحة لنشر العلوم والفنون أن يبدؤا بوضع حدود للاستفادة من المعجمات وكتب القواعد معا فوجدوا أن مُعظم نقد هؤلاء المعجميين يرجع الى مسائل لزوم الفعل أو تعديه بنفسه أو بحرف جرّ خاصٍ دون حرف » •[2]

ثم ذكر الاسكندرى ـ رحمه الله ـ التى أخطؤا فيها من تخطئتهم للكتاب

---

(١) الصواب » فى التشهير «

(٢) مجلة اللغوى المصرى » ج١ ص١٧٨ « •

مكتبتنا العربية

والمؤلفين ، واكثر كلامه فى هذا الأمر الحيوى من امور اللغة العربية معقـــول مقبول ـ لأن باب المجاز مفتوح والاستعارة الجميلة مباحة والاشتقاق لاحب ، ولأن ترجمة المجاز جائزة سائغه ، لان التشابه فى طرائق التعبير بين اللغات الراقية كثير ، فقلما تجد فى احداها استعارة أو كناية أو حقيقة لا تجد مثلها أو ما يقاربها فى أخـرى ، فالفرنسيون يقولون فى بعض كتاباتهم (Jeter des perls auux pourceux) أى القى بلآلىء الى الخنازير ، كناية عن عَرض الانسان على آخر ما لا يدرك قيمته ولا فضله ، وقريب منه فى العربية ما ورد فى أخبار شعبـــة المحدث قال : رآنى الأعمش وأنا أحدث قوما فقال « ويحك يا شعبة تعلق اللؤلؤ الخنازير »(١) .

وقد عالج موضوع الاساليب أى العبارات المترجمة المجمع العلمى العربى بدمشق من قبل ، وكذلك فعل بالكلمات التى سماها بعض الفضلاء « غيرالقاموسية » مما هو مثبت فى بعض مجلدات مجلة المجمع المذكور ، ثم نشر المرحـوم الشيخ عبدالقادر المغربى مقالة فى مجلة المجمع اللغوى المصرى عنونها بـ «تعريب الاساليب» وقال فى أوله «نريد بتعريب الأساليب ما أراده مجمع اللغة العربية الملكى بتعريب الكلمات» مذ قال فى القرار السادس من قراراته : التعريب هو ادخال العرب فى كلامها كلمة أعجمية ، ونحن نقول فى تعريب الاساليب « هو ادخال العرب فى أساليبها اسلوبا أعجميـــا »(٢) .

« وليس بين ادبائنا كبير نزاع فى أمر قبول الاساليب الاعجمية ، وعـــدم قبولها ، وجل ما اشترطوه فى قبول هذه الاساليب أن لا تكون مخالفة فى تراكيبها لقواعد اللغة العربية وألا تكون نابية عن الذوق السليم، ولم يشترطوا قط فى ادخالها

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم فى آدب العالم والمتعلم ، لبدرالدين بن جماعة الكنانى « ص٥١ » فى الحاشية .

(٢) مجلة المجمع اللغوى المصرى « ج١ ص ٣٣٢ » .

مكتبتنا العربية

الى أساليبنا الضرورة كما اشترطه المجمع الملكي في تعريب الكلمات ... فالباب مفتوح للاساليب الاعجمية تدخله بسلام ، اذ ليس في هذه الاساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي وانما هي كلمات عربية محضة ، ركبت تركيبا عربيا خالصا لكنها تفيد معنى لم يسبق لاهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات »(١) .

وكلام الشيخ المغربي ـ رحمه الله ـ يشعر بأنه أراد نقل الاساليب وترجمتها لا تعريبها ، لان لكلمة «التعريب» معنى علميا لا تنقضه ارادتي ولا ارادة غيري به « الترجمة والنقل » . وقد ذكر من الاساليب الاعجمية « طلب فلان يد فلانة » كناية عن خطبته اياها على نفسه و « ألقيت حبل القلم على عنقه » كناية عن تسببه و « رمى بآخر خرطوشة لديه » كناية عن استنفاد ما عنده من الوسائل ، « والمرء يعود أبدا الى حبه الاول » و « افتح اذنيك » أي أحسن الاصغاء والاستماع ، و « خانته قواه » و « مزق بأسنان جميلة » و « ضرب ضربات أسنان » كلاهما كناية عن الغيبة و « شرب الكأس حتى الثمالة » و « فلان ما عاد يقدر أن يسافر » « وفلان ما عدت رأيته أو لم أعد أراه » و «تبادلا التحيات أو الشتائم » و « بكى بدموع حارة » و « وقبل قبلة حارة » و « سأسافر غدا برغم المطر » و « وأثر على فلان » « وقرأ لامارتين ودرس هوگو » و « ألقى المسألة على بساط البحث » و « هذه مسألة جوهرية » و « أعطى رأيه في القضية » و « سهر عليه » و « قتل الوقت » و « عمل ضد فلان ولقحه ضد الكوليرا » و « بالنظر الى كذا جرى الامر » و « في الوقت نفسه جاء فلان » « وهو يمثل المجمع في الحفلات الرسمية » و « هم عشرة على الاقل أو على الاكثر » و « المسألة تحت الدرس » و « الامر كذا وكذا وبعبارة أوضح أو أصح هو كيت وكيت » و « جو السياسة مكهرب » .

ثم قال ـ رحمه الله ـ « أما الاساليب التي لا نزاع في عجمتها فكثيرة جدا

---

(١) المرجع المذكور في الصفحة عينها .

مكتبتنا العربية

منها قولهم : « ذر الرماد فى العيون » و « فلان يكسب خبزه بعرق جبينه ، وفلان لا يرى أبعد من أرنبة أنفه ، وهو يلعب بالنار ، ولا جديد تحت الشمس ، وأعطاه فرمانا على بياض أى أعطاه ملء السلطة ، وأعطاه صوته فى الانتخاب ، وقبض على دفة الحكومة ،وأزهر العمران والمعارف ، وازدهرت التجارة ، وساد الجهل ولعب دورا أو مثل دورا فى هذه القضية ، وفلان يؤيده الرأى العام ، وفلان رجل الساعة، وهو الذى ينقذ الموقف ، وكلمه بطرف شفتيه أى باحتقار ، وأقول أنا فى دورى ، وتوترت العلائق بين الحكومتين ، وتلبد جو السياسة بالغيوم ، وهذا حجر عثرة فى سبيل كذا ، والى الملتقى والى الغد ، وفلان يصطاد فى الماء العكر ، وشرب على صحة فلان أو شرف فلان ، وضحك ضحكة صفراء ، وتأثير الوسط أو الاوساط السياسية ، وفعله بصفته حاكما للبلاد ، وفعل كرجل عاقل ، وقال كمؤرخ أو شاعر، ومسألة بسيطة ورجل بسيط، وقاله ببساطة، وترجمه ترجمة سطحية، ودسائسه تغذى الفتنة والصحافة تغذى الرأى العام ، وتصفية المحل التجارى والتصفية القضائية وكانت الحفلة تحت اشراف فلان ، وتأثر الى حد كذا أو الى درجة كذا و « حتى نطلع الرأسين سواء » و « هو عظيم بكل معنى الكلمة » و « ضميرى يعذبنى ، وتوبيخ الضمير » وكلمة شكر بريئة ونقد برىء و « فعل كذا على ضوء الشىء وكان القوم متحمسين ، وخصص عمره بالادب او بالادب وحده ، ولكل جريدة خطتها ، وعناصر القصة فى الادب وتحليلها الى عناصرها ، والمدرسة الافلاطونية ، وتأثر بالمدرسة الفلانية وهو صاحب كرسى فى الجامعة ، وعلى قدم المساواة ، وبشر بالدين أو المذهب ، ومبارك هو الرب ، وشريرة هى المرأة التى تفعل كذا وكذا ، وصب عليه جام غضبه ، وعمل فى حقل الوطنية ، وانفذ عصارة دماغه ، وهو دودة كتب وان كتبه كلها آذان كلاب كناية عن طيه أطرافها ليرجع اليها ، ومات ولم يعرف امرأة أى لم يتزوج، وأحرق البخور أو بخور الثناء بحضرة فلان ، واعتنق فلان الدين الاسلامى وضحاه على مذبح اغراضه وذهب ضحية مبدئه ، وعاش ستة عشر

مكتبتنا العربية

ربيعا[1] » • هـذا ما ذكره المرحوم الشيخ المغربى • ونزيد عليه قولهم « أوصل سفينة الدولة الى شاطىء السلامـة ، وقولهم هضم فلان هـذه المعلومات ، وجمده وعزله عن النشاط التجارى ، وهذه النصائح تنعكس عـلى الشباب أى تشع عليهم وغيرها كثير يطول تقصيه • وأنا أرى أن من هـذه العبارات التى جـزم المغربى بأعجميتهـا ما له وجود فى اللغة العربيـة ، فقولهم مثلا « اعتنق المذهب الفلانى » استعارة معروفة فيها • قـال الفيومى فى المصباح المنير « واعتنقت الامر : أخذتـه بجد » وقال الزمخشرى قبله فى أساس البلاغة « واعتنق الامر : لزمه » ونعود الى شرح قصيدة ابن عبدون ليتأكد لنا أنه قد أثر تأثـيرا واضحا فى لغة العصر ، قال ابن بدرون فى سرد تاريـخ الفرس والمعروف فى زمانه : « لبث ملك لهراسـف مائة وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه كى بشتاسف وهو الذى بنى مدينة فسا وظهر فى عهده زرادشت واعتنق دينه[2] » • فهذا نص على أن العبارة عربيـة قديمـة وافقتهـا العبارة الفرنجيـة فى وجه استعارتهـا ، وأنها أقدم من الفرنجيـة ببضع مئات سنين •

وكذلك القول فى « ضحى به على مذبح أغراضه » قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد « كان يقال : ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر • فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن ابى طالب واصحابـه ، ويوم العقر يوم قتـل يزيد بن المهلب واصحابه[3] » • وذكر القول أبو الفـرج الاصفهانى فى ترجمة كثير عزّة قال : « حفص الاموى : كنت اختلف الى كثير أتروى شعره ، فو الله انى لعنده يوما اذ وقف عليه واقف فقال : قُتل آل المهلب بالعقر • فقال : ما أجل الخطب ، ضحّى آل أبى سفيان بالدين يوم الطف وضحى

---

(١) مجلة المجمع اللغوى المصرى « ج١ ص٣٣٦ ـ ٣٤٧ » •

(٢) شرح قصيدة ابن عبدون « ص١٩ » •

(٣) الكامل فى الادب « ج٣ ص٢٤٨ » طبعة الدلجمونى بمصر •

مكتبتنا العربية

بنو مروان بالكرم يوم العقر ثم انتضحت عيناه باكيا »(١) . وذكر الخبر بصورة اخرى ابن خلكان قال «ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وجماعة من أهل بيته بعقر بابل .. وكانوا يكثرون الاحسان الى كثير ، فلما بلغه ذلك قال ضحّى بنو حرب ...»(٢) الى آخر الخبر وفيه « وأسلبت عيناه بالدموع ونسى ابن خلكان هذا القول فقال في ترجمة يزيد بن المهلب : « قال الكلبي : نشأت والناس يقولون : ضحّى بنو امية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر »(٣) . فالعربية قد سبقت اللغات الفرنجية الى استعمال ضحّى واستعمالا مجازيا على طريق الاستعارة ، كما نقلت في الخبر .

وأما قولهم « عاش ستة عشر ربيعا » فعربي أيضا والعرب عرفت فضل الربيع وجماله كما عرفته الامم ، قال ياقوت الحموي في ترجمته أبي القاسم الحسين بن علي المغربي الاديب الشاعر الوزير : « وحفظ القرآن وعدة كتب في النحو واللغة وكثيرا من الشعر وأتقن الحساب والجبر والمقابلة ولم يبلغ من العمر أربعة عشر ربيعا »(٤) . فتأريخ العرب بالربيع بمعنى السنة سابق لتأريخ الفرنج لاننا نستطيع أن نثبت تاريخ عبارتنا ولانهم لا يستطيعون وهاهنا أعود قولي مكررا « ان التشابه في طريق التعبير بين اللغات الراقية كثير » . فمن العسر بمكان أن يجزم الباحث أن هذه العبارة المجازية استعملتها لغة دون اخرى ، وعلى هذا تكون الاستعارات في لغة ما صالحة للنقل الى لغة اخرى سواءا أعرف لها مثيل أم لم يعرف ، الا أن الكنايات ليست صالحة دائما ، لانها متعلقة بالمكنى عنه بغير علاقة التشبيه . كما يقال بالفرنسية (Payer rubis sur I'ongle) دفع ياقوتا أحمر على الظفر

---

(١) الاغاني « ٩ : ٢٢ » طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) الوفيات « ج٢ ص٤ » من طبعة بلاد العجم .

(٣) الوفيات « ج٢ ص٤٢٩ » من الطبعة المذكورة .

(٤) معجم الادباء « ٤ : ٦٠ » طبعة مرغليوث .

مكتبتنا العربية

يُريدون وقتى دينه كاملا • وهو كناية لا يمكن فهمها الا بمعرفة قائلهـا وسبب قوله اياها وتاريخ القول كالامثال •

ومشكلة رسم اللغة أى املائها من أعوص المشكلات أيضا ، فالحروف العربية ناقصة بكون الحركات هى التى تعيّن صورة لفظها فى الكلمة والجُمل ، واذا كتبت بغير حركات زالت منها البركات الا عند ذوى الثروة اللغوية السليمة والنحو المبين، فالكلمات غير المشكولة مظنة للالتباس والاشتباه دائمـا وأبدا • واستنان المطابع المصرية ـ كثرها الله ـ اخلاء الياء الآخرة من التنقيط ربك رسـم العربيـة ربكا ظاهرا أثره فيما يقرأ طلاب العربية فى الكتب المصرية الطبع والتأليف •

ولرسم الهمزة فى العربية حديث طويل وبلاء عريض ، وفيه تناقض بيّن ، وأعجب من كل ذلك أنك اذا كتبت كلمة ذات وجهين فى الرسم واخترت أحدهما ظهر لك من يعيب عليك ذلك لانه اختار الوجه الآخر ، وهكذا دأبت جماعة على المؤاخذة فى قشور اللغة وغُلُفها حاسبيها علما من العلوم الاصلية ، مع أن الخلاف لا يزال قائما على أشده فى الرسم ولم تصب اللغة بضرر من ذلك ، فالضرر مستقر فى لفظ الكلم لا فى رسمه ، كمـا فى «اخشوشن» فى الحديث العمرى أهـو اخشوشنوا أم اخشوشبوا أم اجشوشبوا ؟ وهى الدَّينور التى نسب اليها ابن قتيبة أم الدينور ؟ وهو المَقَرّى أم المُقري ؟ ويقولون اليوم « الاكفّاء » جمع الكفيف مكان الاكفاء جمع الكفء ، والاخصّائى مكان الاخصائى ، والقهقري بدلا من القهقرى ، وحَصُل مكان حَصَل وأمِل مكان أمَل ، وقـد يقـع الدَّين مكان الدِّين أو العكس ، والفخار مكان الفِخار ، والأرْم مكان الأُرَم ، والأرب مكان الارب ، أو العكس ، وما لا يحصى من المتشابه الخـط ، المختلف اللفـظ كالدولة الحَمِيرية بدلا من الحميرية أما التصحيف فى كتب العرب فحدث عنه ولا حرج عليك فهو أكبر الداء والبلاء ولا يزول هذا الالتباس الا بالشكل أى وضـع الحركات مع الحروف وهو عمل عسير على الذى يكتب ويقتضى منه زمانا طويـلا

مكتبتنا العربية

بالنسبة الى زمان الكتابة الغفل أى الخالية من الحركات ، والظاهر أن منشأ ذلك كله هو أشكال الحروف .

وقد جرت محاولات كثيرة لاصلاح الحروف العربية ولكنها أخفقت لان الحروف معيبة مؤوفة فى أصلها فلا يفيدها الاصلاح الفرعى ، ولان قسما منها الكلام ، فالاختيار والاستعلام تثبت الهمزة فى كتابتهما لانها تثبت فيهما فى أول التى نستعملها فهى كما هو معلوم رموز أصوات صغيرة مستقلة ، فالفتحة مختصرة من « آ » والكسرة من « اي » والضمة من « أو » فمشابهتها للالف اليابسة والياء والواو هى موضع الصعوبة من محاولة الحاقها بالحروف ، وعلى هذا أرى أن كل محاولة لاصلاح الخط حابطة ، الا أننا نستطيع أن نحاول اصلاح الرسم أى الاملاء بأن نكتب الكلمات كما نلفظها وأن نعد مقياس تلفظها اعتبار أنها واردة فى أول الكلام ، فالاختيار والاستعلام تثبت الهمزة فى كتابتهما لانها تثبت فيهما فى أول الكلام ، وعلى هذا يكون اللفظ العارض والاختصار العارض كالامر العارض ، فلا يكتب التنوين نونا لانه ليس فى أصله الكلمة ، ولا يلتفت الى تأثير الادغام فى الحروف الشمسية لانه عارض لا أصلى . وقد رأيت كثيرا من المخطوطات العتيقة تكتب « هاؤلاء وأولائك ولاكن وهاذا » على اللفظ لا على الرواية ، وأما الهمزة ففيهما عدا أول الكلمة تكتب على الحرف المجانس لحركتها مثل « يقرؤون » على الواو و « تقرئين » على الياء و « يقرؤ هو » على الواو و « لن يقرأ » على الالف ، واذا سكنت فى آخر الكلمة مثل « لم يقرأ » فتعد كأنها فى أول الكلمة الحاقا للآخر بالاول ، هذا رأى ، ورأى آخر وهو كتابة الهمزة بالحرف الذى تخفف اليه ، مثل « أومأ = أوما » يدرأنا = يدرانا» «ينبئنا = ينبينا» مسؤولنا = مسوولنا» ثم تحذف الواو الثانية .

وفذلكة القول فى وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، انها توسيع الاشتقاق فيها والاتساع فى النقل على سبيل المجاز والاخذ بالتعريب

مكتبتنا العربية

عند الضرورة وذلك لتفى بحاجتنا فى المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنيـــة وغيرها ، أما نحوها فيجب اختصاره أو ادماج مواده الواحدة فى الاخرى ، فقـد اقترحتُ حذف باب أسماء الافعال » مثلا وادخال المرتجلة فى الافعال الجامدة ، والمنقولة فى باب « المحذوف منه من كلام العرب » ، وكذلك يجب ادخال صيغتى التعجب فى أبوابهما الاصلية ، فما أفعله داخل فى جمل الاستفهام لان أصـل التعجب الاستفهام التعجبى و « أفْعِلْ به » داخل فى باب فعل الامر •

ويحسن ادماج باب الفاعل ونائبه فى باب المبتدأ والخبر ، وتسميته الاسم المرفوع المتحدث عنه فى الجملة « المخبر عنه » وتسميته التحديث عنه « الخبر » فكلمة « الشمس » فى قولنا طلعت الشمس و « الشمس طلعت » وكلمة «المجرم» فى قولنا « عُوقب المجرم » كل منهما مخبر عنه والفعلان «طلعت » و « عُوقب » كل منهما خبر ، فيكون الخبر تارة مقدما على المخبر عنه وتارة اخرى مؤخرا عنه ، على حسب ارادة المتكلم أو الكاتب •

ويحسن الحاق المنادى العلم والنكرة المقصودة بالاسماء المرفوعة مثل « يا عليُ ويا رجلان » فان بقاءهما مرفوعين ومعدودين فى المنصوبات غلط ظاهر •

ويحسن جواز مجيء الحال جامدة باطراد لتكون أخبار كان وأخواتها أحوالا وتدخل مرفوعاتها فى باب الفاعل أى «المخبر عنه» فى الاقتراح الجديد •

ويستحسن حذف باب الممنوع من الصرف لان منعه متعلق بموسيقية اللفظ لا بأثر اعرابى ، ولان صرفه الحاق له بالباب واظهار لاثر الاعراب على حقيقته ، وهو الاصل •

ويحسن الحاق أفعال المقاربة بالافعال الطبيعية ما دام خبرها غير متأثر ظاهرا ، وكذلك أفعال الشروع والرجاء ويجب حسبان المفعول الثانى لظن وأخواتها أحوالا كأخبار كان وأخواتها ، وتسمية كل من المفعولات الخمسة « المنصوب الفعلى » لانها ليست مفعولات فمعنى المفعول : المصنوع والمعمول وهى ليست مصنوعة ولا معمولة•

مكتبتنا العربية

ويحسن جمع الاختصاص والتحذير والاغراء فى باب المحذوف فعله فى العربية ، وكذلك النصب على المدح أو الذم ، وأخيرا يجب وضع قواعد عامة لتسهيل اتقان اللغة العربية ، وقد ذكرت ست عشرة قاعدة عامة فى كتيبى المباحث اللغوية فى العراق »(١) منها أن « على » تفيد التسلط والتعدى والاذى فضلا عن الاستعلاء المألوف فلذلك تصحب كل فعل اريد به العدوان والاذى والتسلط مثل « نمّ عليه وحكم عليه وتطرق عليه ووجب عليه وغاب عليه وانتقد عليه قوله » ومنها ان الفعل اذا وقع على المفعول بتسلط أو علو جاز تعديه بنفسه أو بعلى مثل « قبضه وقبض عليه وعضه وعض عليه وركبه وركب عليه واحتذاه واحتذى عليه » وبهذه القاعدة التى استدركتها علمت أن « على » هى ظرف مكان غير متصرف لاحرف جرّ ، فهى مثل « لدى » ولولا ذلك ما جاز أحد التعبيرين .

ومنها أن الافعال الدالة على دفع وحركة فى التعدى يجوز ادخال حرف الجر على مفعولها نحو « دفعه ودفع به وحذفه وحذف به وألقاه وألقى به ورماه ورمى به وأداه وأدى به » . ومن المعروف أن أكثر الكتاب اليوم يستعملون « أدّى به » مكان « أدّاه » مع أن المعجمات لا تذكر « أدى به » بل « أداه » فهل نعد استعمال الكتاب غلطا ؟ ان هذه القاعدة التى استدركتها تدل على جواز « أدى به » فهل ورد استعمالها على هذه الصورة فى كلام العرب ، نعم قال أبو بكر الرازى فى بعض رسائله « وأدى به الامر الى الهلاك »(٢) وقال ياقوت الحموى « كان اذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدى به الى العطب »(٣) ، وقال عبدالحميد بن أبى الحديد : « وأيضا فان المرأة قد تؤدى بها الغيرة الى ما يكون كفرا على الحقيقة كالسحر(٤) » . وقال مسلم بن معبد الوالبى :

---

(١) المباحث اللغوية فى العراق « ص٤١ ـ ٤٩ » .
(٢) رسائل الرازى « ص٤ » طبعة پول كراوس .
(٣) معجم الادباء « ٣ : ٢١ » طبعة مرغليوث .
(٤) شرح البلاغة « ٤ : ٣٠٢ » .

مكتبتنا العربية

وايـاهم جـزى عنى وأدى الى كل بمـا بلـغ الاداء[1]

ومنه ما نقلنا فى خبر كثير عزة آنفا « واسبلت عيناه بالدموع ، والاصل اسبلت عيناه الدموع » . ومنها جواز تعدية « فعل يفعل » لغير العيوب والعاهات الظاهرة ، بحرف الجر وبنفسه نحو أنف منه وأنفه وأمن منـه وأمنه وخشى منـه وخشيه وسلم منه وسئمه وفرق منه وفرقه ولحق به ولحقه وعلم به وعلمه وظفر به وظفره وضجر منه وضجره » وهذه القاعدة تكشف لنا عن تطور « فَعِلَ » المصوغ فى الاصل لعدم التعدّى من حالة اللزوم الى حالة التعدى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) خزانة الادب « ج٢ ص١١٣ » طبعة دار العصور